

قص الشعر في الادب العربي

نشرت الأهرام كلمة تحت عنوان « مبتكر مودة قص الشعر » ذكر الكاتب فيها نقلاً عن إحدى المجلات الانجليزية أن مبتكر هذه الطريقة هو المسيو سير بليغوسكي البولندي المعروف وهو يقيم الآن بلندن ، والذي أعرفه أن هذا النوع نشأ من عصر بعيد . فقد يجد الباحث في الأدب العربي كثيراً من الصور الشعرية يعرف منها كيف نشأت هذه الطريقة في العصور العربية الزاهية أيام سلطان العباسيين بالمشرق وبني أمية بالأندلس ، ذلك العهد الذي مال فيه العرب الى كثير من ألوان الترف واطمأنوا فيه الى الدعة وخفض العيش . ولقد كان من آثار هذا الاغراق في النعيم والافتنان في أساليبه أن كانوا يعيشون بشكل الفتاة الطبيعي فيقصون شعرها ابتغاء منظر طريف يمتعون به عيونهم في مجالس الشراب ، كما كان يجد الشعراء في ذلك لذة فنية تعينهم على اتساع مدى خيالهم الشعري ، ويطلقون على هذه الفتاة الصغيرة (جارية غلامية) ولم يك هذا النوع من العبث بالشكل الطبيعي مقصوداً على الفتيات ، فقد كانوا يضعون الاقراط في آذان سقاتهم من الغلمان ويطلقون على كل منهم (غلام مقرط) وسيجد القارئ في هذه الصورة تأييداً لما ذكرت قال عامر بن شهيد أحد شعراء الأندلس يمدح أميراً ينتسب الى الاسرة العامرية ، وقد استهل قصيدته بوصف الخمر وأدواتها والجارية التي قامت على الشراب :

أذن الديك فتب أو ثوب وانضح القلب بماء العنب
وتأمل آية معجزة ماقرأنا مثلها في الكتب
ركع الابريق من طاعته وبكى فابتل ثوب الاكثوب
ولول المزهري ينفي طربي وتطربت فأعيا طربي
وربيب قام فينا ساقياً كالرشا أرضع بين الربرب
ظبية دون الظباء قصصت فأتت غيداء في شكل صبي
فتح الورد على وجنتها وحماه صدغها بالعقرب

والذي ينظر الى البيت السادس يعرف جيداً كيف كانت (مودة قص الشعر) معروفة بين الأندلسيين ، ولعل أول من نقلها إليهم زرياب (المغني المعروف) فقد وفد من المشرق في عهد الرشيد بعد أن حقق عليه استاذة اسحاق الموصلي فأقام كثيراً من عادات البغداديين في ربوع قرطبة وماجاورها وأحدث وتراً خامساً للعود . فمن المؤكد إذن أن هذه الطريقة نشأت في الدولة العربية ويرجح انتقالها من بغداد الى قرطبة لسبق الأولى في الحضارة نتيجة اختلاط العرب بالفرس واليونان ولا سيما بعد الفتح العربي ؟ على شرف الدين

دبلوم دار العلوم

ولكنها اذا عادت اليه يوم القيامة عادت اليه الحياة
وذهب بعض المتكلمين الى أن الروح جسم لطيف مشتبه

بالاجسام الكشيفة، وهذا رأى أبى المعالى الجويني .
على أن السواد الأعظم من المتكلمين قد انتهى الى أنها عرض ،
ولكن هذا المذهب مردود عليه بالأخبار التي دلت على أن الروح
جسم لما فيها من العروج والهبوط والتردد في البرزخ . ومن ثم
لا يمكن أن تكون الروح عرضاً مادامت قد وصفت بأنها جسم .
فليس الوصف الا معنى والمعنى لا يقوم بالمعنى

وأما مصير الروح بعد خروجها من الجسد فقد حدثنا عنه
مؤلفنا فيما أورد من كلام ابن عباس . سئل ابن عباس : أين تذهب
الارواح عند مفارقة الابدان ؟ فقال : أين يذهب ضوء المصباح عند
فناء الادهان ؟ قيل له : — وأين تذهب الجسوم اذا بليت ؟
قال : فإين يذهب لحمها اذا مرضت ؟

وأكبر الظن أن آراء المتكلمين في الروح ومذاهبهم التي
أوجزها لنا مؤلف عوارف المعارف تكفي لاعطائنا صورة
لابأس بها لهذا الخلاف الضعيف الذي كان بينهم حول مسألة هي
من ادق المسائل واعوصها ان لم تكن ادق المسائل واعوصها
جميعاً . ولعل دقة المسألة وخطورتها آتيتان من حيث ان باحثها
مضطر بحكم بحثه الى أن يعرض لما جاء به الكتاب والسنة . ثم
هو مضطر فوق هذا الى ان يلائم بين رأيه وبين مادعا اليه
الكتاب والسنة . ومهما يكن من شيء فقد رأى المتكلمون
أنفسهم امام ما يقال لهم من ان الموجودات محصورة .
فكل موجود إما أن يكون قديماً اوجسماً اوجوهرًا أو عرضاً .
ومن هنا كان لابد لهم من أن يتعرفوا ماهية الروح ويطبّقوا عليها
هذا الذي قيل لهم عن حصر الموجودات . فهل الروح قديمة ؟ هل
هي جسم ؟ هل هي جوهر ؟ هل هي عرض ؟ تلك اسئلة رأوا أنفسهم
مضطرين الى الاجابة عنها . وقد أجابوا عنها بالفعل . فرأى فريق
منهم ان الروح قديمة لانها امر والامر كلام والكلام قديم .
ورأى فريق آخر انها جسم . وذهبت طائفة الى انها جوهر ،
وطائفة اخرى الى انها عرض كما اشرت الى ذلك آنفاً . ويرى
أبو طالب المكي أن الارواح اعيان في الجسد كما يرى ان النفوس
كذلك . فهو يقول ان الروح تتحرك للخير ومن حركتها يظهر
نور في القلب يراه الملك فيلهم الخير عندئذ . وإن الروح تتحرك
للشر فتظهر في القلب ظلمة يراها الشيطان فيقبل حينذاك بالاغواء

محمد مصطفى حلمي

يتبع

ماجستير في الآداب